

حيوانات وردت في آيات

(٤)

حَيَّةُ مُوسَى

أحمد سويلم

مكتبة العبيكان

٢ مكتبة العبيكان، ١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

لجنة التأليف والترجمة بمكتبة العبيكان

حية موسى. ط٢. - الرياض، ١٤٢٧هـ

٣٦ ص ؛ ١٧×٢٢سم (حيوانات وردت في آيات؛ ٤)

ردمك: ٩٩٦٠-٤٠-٩٣٢-٥

١-قصص القرآن. ٢- قصص الأطفال. أ - العنوان

ب- السلسلة

١٤٢٧/٨٦٥

ديوي ٢٢٩,٥

رقم الإيداع: ١٤٢٧/٨٦٥

ردمك: ٩٩٦٠-٤٠-٩٣٢-٥

الطبعة الثانية

١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر

مكتبة العبيكان
Obekhan
Publishers & Booksellers

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ
أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ
أُخْرَىٰ (١٨) قَالَ أَلْقَهَا يَا مُوسَىٰ (١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا
هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿

oboi.kandi.com

كَانَتْ مِصْرُ الْقَدِيمَةُ - مِثْلَ الْحَضَارَاتِ الْقَدِيمَةِ الْآخَرَى الَّتِي عَاصَرَتْهَا -
ذَاتَ عَقَائِدَ مُخْتَلِفَةٍ، وَكَانَ فِرْعَوْنُ مِصْرَ يُنْظَرُ إِلَيْهِ عَلَى أَنَّهُ إِلَهُ الْأَكْبَرُ، يَفْعَلُ
مَا يَشَاءُ فِي رِعْيَتِهِ.

وَرُبَّمَا وَجَدْنَا بَعْضًا مِنَ الْفِرَاعْنَةِ حَبَاهُمُ اللَّهُ بِالْعَقْلِ وَالتَّأْمُلِ، فَلَمْ يُعْلِنُوا
أَنْفُسَهُمْ آلِهَةً، لَكِنَّهُمْ سَلَّمُوا بِأَنَّ هُنَاكَ إِلَهًا أَوْ آلِهَةً تَحْكُمُ الْعَالَمَ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ
إِخْنَاتُونُ الَّذِي دَعَا إِلَى تَوْحِيدِ الْآلِهَةِ الْقَدِيمَةِ فِي إِلَهٍ وَاحِدٍ، هُوَ آتُونُ، وَرَمَزَ لَهُ
بِالشَّمْسِ وَأَشْعَتِهَا النُّورَانِيَّةُ.

وَنَحْنُ الْيَوْمَ فِي زَمَنِ أَحَدِ الْفِرَاعْنَةِ، الَّذِي أَعْلَنَ نَفْسَهُ إِلَهًا، يَبْطِشُ
بِالرَّعِيَّةِ، وَيَطْغَى فِي حُكْمِهِ، وَيَنْشُرُ سُلْطَانَهُ عَلَى الْجَمِيعِ. وَكَانَ يَقُولُ فِي
كِبْرِيَاءَ وَغُرُورٍ: أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى.

قَامَ هَذَا الْفِرْعَوْنُ مِنْ نَوْمِهِ يَوْمًا عَلَى حُلْمٍ مُزَعَجٍ مُحِيرٍ؛ فَقَدْ رَأَى فِيمَا
يَرَى النَّائِمُ أَنَّ نَارًا عَظِيمَةً أَقْبَلَتْ مِنْ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ - حَيْثُ بُنِيَ إِسْرَائِيلَ -
فَأَحْرَقَتْ بَيْوتَ مِصْرَ، وَمَقَرَّ فِرْعَوْنَ، وَأَحْدَثَتْ خَرَابًا كَبِيرًا، وَلَمْ تَبْقَ عَلَى
أَحَدٍ.

قَامَ مَفْزُوعًا مِنْ نَوْمِهِ، وَجَمَعَ كَهَنَتَهُ، وَطَالَبَهُمْ أَنْ يُفَسِّرُوا هَذَا الْحُلْمَ،
فَاجْتَمَعُوا عَلَى أَنَّ خَطَرًا كَبِيرًا سَوْفَ يَحِلُّ بِالْبِلَادِ عَلَى يَدِ مَوْلُودٍ مِنْ بَنِي
إِسْرَائِيلَ، وَسَوْفَ تَكُونُ نَهَايَةُ فِرْعَوْنَ عَلَى يَدَيْهِ.

لَمْ يَكُنِ الْفِرْعَوْنُ فِي حَاجَةٍ إِلَى التَّمَاسِ أَسْبَابَ جَدِيدَةٍ لِيَزِيدَ مِنْ طُغْيَانِهِ
وِظْلَمِهِ، وَإِنْزَالَ أَسْوَأِ الْعَذَابِ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ.

لَقَدْ أَصْدَرَ أَوْامِرَهُ الْعَلِيَّةَ بِذَبْحِ أَبْنَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالْإِبْقَاءِ عَلَى بَنَاتِهِمْ
وَنِسَائِهِمْ.

وَشَهِدَتِ السَّاحَاتُ وَالْبُيُوتُ هَذِهِ الْمَذَابِحَ الْعَلْنِيَّةَ لِأَطْفَالِ أُبْرِيَاءَ، لَا ذَنْبَ
لَهُمْ أَمَامَ طُغْيَانِ الْحَاكِمِ إِلَّا أَنَّهُمْ ذُكُورٌ.

وَتَضَاقِقَ النَّاسُ، وَيَظِلُّ الْأَمْرُ هَكَذَا زَمَنًا، حَتَّى تَوْسَلَ إِلَيْهِ كِبَارُ وَكَهَنَةُ بَنِي
إِسْرَائِيلَ، وَخَافُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَعَلَى ذُرِّيَّتِهِمْ، فَسَمَحَ فِرْعَوْنُ بِعَامٍ لَا يُقْتَلُ فِيهِ
أَحَدٌ، وَعَامٌ يُقْتَلُ فِيهِ الْأَوْلَادُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضَعِفُ

طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ .

[القصص : ٤]

فلَمَّا جَاءَ عَامُ الْحَيَاةِ وَلِدَ هَارُونُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَمَّا جَاءَ عَامُ الْقَتْلِ وَلِدَ أَخُوهُ مُوسَى .

ولَمَّا أَدْرَكَتْ أُمُّ مُوسَى أَنَّهُ وَلَدٌ أَخَذَتْ تُخْفِيهِ عَنْ أَعْيُنِ الرُّقَبَاءِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، حَتَّى أَوْشَكَ الْأَمْرُ أَنْ يُكْتَشَفَ، فَخَافَتْ عَلَيْهِ .

ثُمَّ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهَا أَنْ تَطْلُبَ مِنْ أَحَدِ الصَّنَاعِ أَنْ يَصْنَعَ لَهَا صُنْدُوقًا مِنْ نَبَاتِ الْبَرْدِيِّ عَلَى قَدَرِ جِسْمِ الطِّفْلِ، ثُمَّ لَفَّتَهُ فِي الْقُطْنِ، وَأَغْلَقَتْ عَلَيْهِ الصَّنْدُوقَ، وَأَلْقَتْهُ فِي مَاءِ النَّيْلِ .

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ . [القصص : ٧]

أَحْسَتْ أُمُّ مُوسَى أَنَّ قِطْعَةً مِنْهَا قَدْ انْفَصَلَتْ عَنْهَا، فَأَخَذَتْ تَبْكِي وَتَبْكِي، ثُمَّ طَلَبَتْ إِلَى أُخْتِهَا مَرْيَمَ أَنْ تُتَابَعَ الصَّنْدُوقَ حَتَّى تَعْرِفَ أَيْنَ سَيَسْتَقِرُّ؟

وَتَسَوِّقُ الْأَقْدَارُ الصُّنْدُوقَ إِلَى قَصْرِ فِرْعَوْنَ.

وها هم خدام فرعون وحراسه يرون الصندوق يستقر بجوار جدار قصر فرعون، فيهرعون إليه مرتابين مندهشين فزعين.

ويحمله الخدم في حذر شديد إلى فرعون وزوجته آسيا، فيأمر فرعون أن يفتح الصندوق، فيفاجأ بطفل يبكي. صاح فرعون في حراسه: كيف لم تدبحوا هذا الطفل؟! لم تركتموه ونحن في عام الذبح؟!

﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ . [القصص: ٨]

صمت الجميع من حوله، لكن زوجة فرعون تقدمت لترى الطفل، فأصابها منه حنان ومحبة. وهنا قالت لزوجها: أقسم عليك بما أستحقه منك من الحب أن تترك هذا الطفل لي؛ فأنت تدري أنني ألد الإناث ولا ألد الذكور.

صاح فرعون: كيف تطلين مني هذا وأنت تعلمين ما أخشاه؟!

قالت: أتوسل إليك أن تدعه ولا تقتله؛ فلعله ينفعنا، ولعله يكون قرّة

عَيْنَ لِي وَلَكَ. أَلَا تَرَى فِي عَيْنَيْهِ تِلْكَ الْمَلَاةَ، وَفِي وَجْهِهِ الْحُسْنَ؟!
أَخَذَتْ آسِيَا تُنْعَعُ زَوْجَهَا بِمَا تَمْلِكُ مِنْ وَسَائِلِ الْإِقْنَاعِ، حَتَّى وَافَقَ فِرْعَوْنُ
أَنْ يَهَبَهُ لَهَا، عَلَى أَنْ يَعِيشَ فِي كَنْفِهَا وَتَحْتَ عَيْنَيْهَا.
فَرَحَتْ آسِيَا بِالطِّفْلِ، وَأَحْبَبَتْهُ.

﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ
نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾. [القصص: ٩]

وكان من عادة ذلك الزمان أن يُعطى الأطفالُ لمرضعات يَقمُنَ بإرضاعهم
مدةً طفولتهم. ولهذا استقدمت آسيَا أشهرَ المرضِعاتِ لعلَّه يقبلُ أن يرضعَ
من إحداهنَّ، لكنَّه لم يقبلْ أيةَ مَرَضِعةٍ، وأخذَ يبيكي.

قال تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾. [القصص: ١٢]

وحَارَتْ آسِيَا فِي أَمْرِ الطِّفْلِ، وَأَزْعَجَهَا بُكَاءُهُ الْمُسْتَمِرُّ وَرَفْضُهُ الْمَرْضِعاتِ.
مَاذَا تَفْعَلُ وَهِيَ تَخْشَى عَلَى حَيَاتِهِ، وَتَحِبُّ أَنْ يَعِيشَ الطِّفْلُ لَهَا؟!
وكانتْ أخته مَرِيَمُ يَصِلُ إِلَيْهَا مَا يَحْدُثُ فِي قَصْرِ فِرْعَوْنَ، كَمَا عَلِمَتْ

كَيْفَ أَنْ آسِيَا حَائِرَةٌ فِي أَمْرِ الطِّفْلِ الصَّغِيرِ.

وَأَقْبَلَتْ مَرْيَمُ تُسْتَأْذِنُ فِي الدُّخُولِ إِلَى زَوْجَةِ فِرْعَوْنَ، وَأَخْبَرَتْهَا أَنَّهَا تَعْرِفُ مَرْضِعَةً لَنْ يَرْفُضَ الطِّفْلُ لَهَا لَبَنًا، فَأَمَرَتْهَا بِإِحْضَارِهَا بِسُرْعَةٍ.

انْطَلَقَتْ مَرْيَمُ تُخْبِرُ أُمَّهَا، وَعَلَى الْفَوْرِ صَحْبَتُهَا إِلَى قَصْرِ فِرْعَوْنَ، وَمَا إِنْ احْتَضَنْتْ وَلَدَهَا حَتَّى كَفَّ عَنِ الْبُكَاءِ، وَأَخَذَ يَرْضَعُ حَتَّى شَبِعَ، ثُمَّ نَامَ.

﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾
فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ . [القصص: ١٢، ١٣]

كَانَ هَذَا هُوَ الْمَشْهَدَ الْأَوَّلَ الَّذِي وَضَعَ نَقْطَةَ الْبِدَايَةِ فِي حَيَاةِ هَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ.

وَمَرُّ الْأَيَّامِ وَفِرْعَوْنُ يَزْدَادُ طُغْيَانًا وَظُلْمًا، وَمُوسَى يَشْبُ فِي كَنَفِهِ، حَتَّى أَصْبَحَ فَتَى قَوِيًّا آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ وَالْعِلْمَ، لَكِنَّهُ كَانَ دَائِمَ الْاِحْتِجَاجِ عَلَى مَا يَفْعَلُهُ فِرْعَوْنُ.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ .

[القصص: ١٤، ١٥]

وقرر موسى الفتى أن يكون نصيرَ المظلومين من بني إسرائيل .
وها هو يجد نفسه في أحد الأيام أمام رجلين يتشاجران . أحدهما من أصحاب القوة والسلطان، والآخر من بني إسرائيل .
ويستنجد المظلوم بموسى ، فيقبل موسى ، ويضربُ صاحب القوة والسلطان . وكانت ضربة قوية أودت بحياته . فندم موسى على ذلك واستغفر الله على ذنبه .

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَةِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِي مُّبِينٌ

﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ
تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ
أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمَصْلُحِينَ ﴿١٩﴾ . [القصص: ١٥ - ١٩]

ويصل الخبر إلى قصر فرعون.

موسى الذي تربى في كنف فرعون يناصر بني إسرائيل على أتباع
فرعون!

ويأمر فرعون عسسه وشرطته بالبحث عن موسى لينال عقابه.

ويسرع إلى موسى رجل صالح يخبره بما ينويه فرعون، وينصحه بالهرب
من وجهه.

ويخرج موسى من مصر سرّاً، قاصداً بلاد مدين - بين الشام والحجاز -
ويدرك أنه لا يملك مالا ولا عملاً.

﴿٢٠﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ
لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ
رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ

يَهْدِينِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٠﴾ [القصص: ٢٠ - ٢٢]

وَيَصِلُ إِلَى مَكَانٍ مُزْدَحِمٍ، وَيَعْرِفُ أَنَّهُ مَوْزِدُ مَاءٍ، يَزِدْجُمُ عَلَيْهِ النَّاسُ
لِلسَّقَاءِ.

وَهَا هُوَ يَرَى امْرَأَتَيْنِ تَسْتَحْيَانِ أَنْ تُزَاخِمَا الرِّجَالَ، فَسَاعَدَهُمَا عَلَى ذَلِكَ،
﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.
[القصص: ٢٤] فتخبران أباهما عن موسى. وَيَسْتَدْعِيهِ الْأَبُ، وَيَزُوجُهُ إِحْدَاهُمَا،
وَيَمْنَحُهُ عَمَلًا لَدَيْهِ.

وَيُظِلُّ مُوسَى فِي عَمَلِهِ لَدَى هَذَا الرَّجُلِ عَشْرَ سِنِينَ كَامِلَةً، كَانَ فِيهَا مَثَلًا
لِلْأَمَانَةِ وَالْعَمَلِ وَالْقُوَّةِ وَالْوَفَاءِ.

ثُمَّ يَسْتَأْذِنُ مُوسَى فِي الرَّحِيلِ إِلَى مِصْرَ هُوَ وَزَوْجَتُهُ.
وَيُخْرِجُ مُوسَى، لَكِنَّهُ يَضِلُّ طَرِيقَهُ لِيَجِدَ نَفْسَهُ بِجَانِبِ الطُّورِ، وَهُنَاكَ
أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ:

﴿... أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

وَيَخْصُهُ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، ثُمَّ يَسْأَلُهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ عَصَاهُ
الَّتِي يُمْسِكُهَا بِيَمِينِهِ، فَيُجِيبُهُ مُوسَى فِي بَسَاطَةٍ:

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ
أُخْرَى﴾ [طه: ١٨].

فَأَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يُلْقِيَهَا مِنْ يَدِهِ، فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى.
وَيُصِيبُ مُوسَى الذُّعْرُ وَالْخَوْفُ، فَيَطْمَئِنُّهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَيَأْمُرُهُ أَنْ يَلْتَقِطَهَا
مِنَ الْأَرْضِ، فَيَلْتَقِطُهَا، لَتَعُودَ سِيرَتَهَا الْأُولَى، الْعَصَا نَفْسَهَا.
وَيُدْرِكُ مُوسَى أَنَّ عَصَاهُ هِيَ مُعْجَزَتُهُ الْإِلَهِيَّةُ أَمَامَ قُوَى السَّحْرِ وَالشَّعْوَذَةِ
عَلَى أَيْدِي أَتْبَاعِ فِرْعَوْنَ مِنْ كَهَنَةٍ وَسَحَرَةٍ.

ثُمَّ يَأْمُرُهُ اللَّهُ أَنْ يَدْخُلَ يَدَهُ إِلَى جَيْبِهِ وَيُخْرِجَهَا، فَإِذَا هِيَ بَيَاضٌ تُشَعُّ نُورًا
قَوِيًّا، فَيَدْرِكُ أَنَّهَا مُعْجَزَةٌ أُخْرَى فِي عَصْرِ تَسَابُقٍ فِيهِ الْمُعْجَزَاتُ بَيْنَ التَّصَدِيقِ
وَالْتَّكْذِيبِ، لَكِنْ شَتَّانَ بَيْنَ مُعْجَزَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَكَأَذِيبِ الْبَشَرِ.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ ١٧ ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ
بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ ١٨ ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى﴾ ١٩ ﴿فَالْقَاهَا

فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى .

[طه : ١٧ - ٢٢]

يدرك موسى أن أمامه مهمة شاقّة تتطلب منه الاستعداد الأقصى من القوة والفصاحة والإيمان.

أمره الله أن يذهب إلى فرعون، فيسأل موسى الله تعالى أن يكون أخوه هارون معه، فيبارك الله طلبه، ويأمره بالتحدث إلى فرعون باللين والهدوء.

ويلتقي موسى أخاه هارون.

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا . [طه : ٢٥ - ٣٥]

أما لماذا أمر الله بالحديث إلى فرعون باللين فقد شاء الله تعالى أن يعلم البشرية درسًا خالدًا في الوفاء؛ فقد ربّى فرعون موسى في بيته، فعليه حقُّ

الوفاء، ومُلاينة القول، ورقة المعاملة.

وفي ذلك درس آخر، وهو أنك إذا أردت دعوة إنسان إلى الله - تعالى - أو نصيحتَه فلا بد أن تبدأ معه بالقول اللين والنصيحة الطيبة لا بالجفاء والشدة والعنف حتى لا ينفر من النصيحة.

لقد وعى موسى - عليه السلام - القضية وعلم حجم المهمة وخطورتها، لكن الله ربط على قلبه وأخبره أن فرعون لن يستطيع أن يضرَّك بشيء، وأنت وأتباعك الغالبون ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾. [القصص: ٣٥]

ويذهبان يطرقان قصر فرعون، فيخرج إليهما حارس القصر.
ماذا تريدان؟

قالا: نريد فرعون مصر.

قال الحارس: ماذا تريدان منه؟

قال موسى: قل له أنا رسول رب العالمين.

فَزَجَرَهُمَا الْحَارِسُ، وَعَاوَدَا الْأَمْرَ مَرَّةً وَمَرَّةً، حَتَّى غَامَرَ الْحَارِسُ، وَدَخَلَ عَلَى فِرْعَوْنَ، وَقَالَ:

يَا مَوْلَايَ، هُنَاكَ رَجُلَانِ مُصَابَانِ بِالْجُنُونِ يُلْحَنَانِ فِي الدُّخُولِ إِلَيْكَ، وَإِخْبَارِكَ أَنَّهُمَا مُرْسَلَانِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَهُنَا ضَحَكَ فِرْعَوْنُ، وَقَالَ لَوْزِيرِهِ هَامَانَ:

أَتَعْرِفُونَ رَبًّا غَيْرِي؟!

قَالَ هَامَانُ: لَيْسَ لَنَا رَبٌّ غَيْرُكَ يَا مَوْلَايَ.

وَأَشَارَ هَامَانُ إِلَى الْأَعْوَانِ فَسَجَدُوا جَمِيعًا خَاضِعِينَ مُعْتَرِفِينَ بِالْأُلُوْهِيَّةِ لَهُ

دُونِ غَيْرِهِ. ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٣، ٢٤]

وَهُنَا قَالَ فِرْعَوْنُ:

- وَمَعَ هَذَا يَا أَعْوَانِي، فَلَا بَأْسَ أَنْ نَتَسَلَّى بِهِذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ. دَعُهُمَا يَدْخُلَا

أَيُّهَا الْحَارِسُ. وَيَدْخُلْ مُوسَى وَهَارُونُ إِلَى فِرْعَوْنَ.

وَيَعْرِفُ فِرْعَوْنُ مُوسَى، فَيَبَادِرُهُ مُعَاتَبًا:

- أَلَمْ تَنْشَأْ فِي قَصْرِنَا يَا مُوسَى سِنِينَ طَوِيلَةً؟! كَيْفَ إِذَنْ تَتَجَرَّأُ عَلَيْنَا

وَتُنْكِرُ الْوَهْتِي؟!

قال موسى: إِنْ كُنْتَ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ بِشَيْءٍ فَاللَّهُ هُوَ صَاحِبُ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ وَعَلَيَّ، وَمَا أَنْتَ سِوَى مَلِكٍ ظَلَمْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

وهنا غضب فرعون وقال: لعلك مطلوب للعقاب منذ قتلت أحد أنصارنا.

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِيْنَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِيْنَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ ١٨ ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلَتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ١٩ ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ ٢٠ ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ٢١ ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾. [الشعراء: ١٨ - ٢٢]

قال موسى: فعلت ذلك، ولما خفت بطشكم بي فررت منكم، فمنحني الله من نعمته وفضله ورحمته، ووهب لي علماً وحكمة، وجعلني من المرسلين، وهانذا جئت إليك أدعوك إلى عبادة الله القوي العظيم.

سأله فرعون وقد ازداد غضباً وغيظاً:

- وما ربك هذا الذي تدعوننا إليه؟

قال: رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ
الْأَوَّلِينَ.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ٢٣ ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ ٢٤ ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ ٢٥ ﴿قَالَ رَبُّكُمْ
وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ ٢٦ ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾
٢٧ ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ٢٨ ﴿قَالَ لَنْ
اتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمُسْجُونِينَ﴾ . [الشعراء: ٢٣ - ٢٩]

وَيَسْخَرُ فِرْعَوْنُ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ يَلْتَفِتُ إِلَى وَزِيرِهِ هَامَانَ مَتَهَكِّمًا :

- مَا رَأَيْكَ يَا هَامَانُ لَوْ بَنَيْتَ لِي صَرْحًا عَالِيًا أَصْعَدُ فَوْقَهُ لِأَصِلَ إِلَى
السَّمَاءِ، فَأَرَى إِلَهَ مُوسَى هَذَا؟!

قال هَامَانُ: لَنْ تَجِدَهُ يَا مَوْلَايَ.

قال فِرْعَوْنُ: إِذْنُ أَنْتَ مَعِيَ أَنْ مُوسَى يَكْذِبُ.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقَدْ لِي يَا

هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَطْلُعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ
الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ . [القصص: ٣٨]

قال موسى: أَنَا لَا أَكْذِبُ؛ فَاللَّهُ حَقٌّ، وَهُوَ خَالِقُ هَذَا الْكَوْنِ.
سَادَتْ فِتْرَةٌ صَمَتْ وَهَمَّهَمَةٌ، قَطَعَهَا فِرْعَوْنُ بِقَوْلِهِ:
سَأَحَاوِلُ أَنْ أَصَدِّقَكَ يَا مُوسَى، فَإِنْ كُنْتُ جِئْتُ بِمُعْجَزَةٍ خَارِقَةٍ فَأَتِ بِهَا
وإِلَّا كَذَّبْنَاكَ.

﴿قَالَ إِنْ كُنْتُ جِئْتُ بِآيَةٍ فَأَتِ بِهَا إِنْ كُنْتُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ . [الأعراف: ١٠٦]

قال موسى في تحدٍّ: وَأَنَا لَهَا يَا فِرْعَوْنَ.
وَتَقَدَّمَ قَلِيلًا حَتَّى بَلَغَ وَسْطَ الْقَاعَةِ، ثُمَّ أَلْقَى عَصَاهُ، فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ كَبِيرَةٌ
تَسْعَى أَفْزَعَتْ فِرْعَوْنَ نَفْسَهُ، وَأَفْزَعَتْ كُلَّ مَنْ حَضَرَ الْمَجْلِسَ، وَجَعَلَتْ
فِرْعَوْنَ فِي حَالَةٍ مِنَ الْخَيْرَةِ وَالْكَبَرِيَاءِ مَعًا.

﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ . [الشعراء: ٣٢]

ثُمَّ التَّقَطَّهَا مُوسَى فَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ.

واستجمعَ فرعونُ نفسه، وقال: إِن كُنْتَ تَتَبَاهَى بِسِحْرِكَ هَذَا فَلَدَيْنَا
سَحْرَةً أَشَدَّ مِنْكَ، فَهَلْ لَدَيْكَ عَمَلٌ مُّعْجَزٌ آخَرُ.

﴿قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ۖ﴾ (٣٤) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ
أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ ۖ ﴿[الشعراء: ٣٤، ٣٥]

أَدْخَلَ مُوسَى يَدَهُ فِي جَيْبِهِ، ثُمَّ أَخْرَجَهَا فَإِذَا هِيَ بَيَضاءُ تُشْعُ نُورًا يَكَادُ
يُخْطِفُ الْأَبْصَارَ. ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيَضاءُ لِلنَّاظِرِينَ ۖ﴾ [الشعراء: ٣٣]

وَلَمْ يُطِقْ فِرْعَوْنُ احْتِمَالَ مَا يَحْدُثُ فِي بِلَاطِهِ، وَأَمَرَ بِإِخْرَاجِ مُوسَى، ثُمَّ
أَخَذَ يَسْتَشِيرُ أَعْوَانَهُ فَيُشِيرُونَ عَلَيْهِ أَنْ يَجْمَعُوا كُلَّ سَاحِرٍ كَبِيرٍ فِي الْبِلَادِ
لِيَتَسَابَقُوا مَعَهُ فِي السَّحْرِ، وَلَا بُدَّ أَنَّهُمْ مُتَتَصِرُونَ عَلَيْهِ بِمَا يَمْلِكُونَ مِنَ الْخَبْرَةِ
وَالسَّحْرِ. ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۖ﴾ (٣٥) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ
حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُونَكَ بِكُلِّ سَحَارٍ عَلِيمٍ ۖ ﴿[الشعراء: ٣٥ - ٣٧]

وَأَدْخَلَ مُوسَى مَرَّةً أُخْرَى، لِيَقُولَ لَهُ فِرْعَوْنُ:

- سَنَحْدُدُ مَعَكَ مَوْعِدًا تَتَسَابَقُ فِيهِ مَعَ سَحَرَتِنَا.

قَبْلَ مُوسَى التَّحَدِّيَّ، وَاخْتَارَ يَوْمَ الزَّيْنَةِ، يَوْمَ عِيدِهِمْ، يَوْمَ اجْتِمَاعِ النَّاسِ؛

حَتَّى يَظْهَرَ الْحَقُّ، وَيَزْهَقَ الْبَاطِلُ.

﴿فَجَعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾ ﴿٥٨﴾

قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ . [طه: ٥٨، ٥٩]

وَيُقْبَلُ السَّحَرَةُ مِنَ الشَّامِلِ وَالْجَنُوبِ بِعِصِيَّتِهِمْ وَحِبَالِهِمْ، وَكُلٌّ مِنْهُمْ لَهُ تَارِيخٌ طَوِيلٌ مَعْرُوفٌ فِي السَّحْرِ، وَقَدْ وَثَّقَ فِرْعَوْنُ فِي قُدْرَاتِهِمْ وَخَبَرَتِهِمْ، وَانْتَصَارَهُمْ عَلَى مُوسَى، هَذَا الرَّجُلِ الْفَرْدِ الَّذِي لَا مُعِينَ لَهُ، أَمَامَ جَمْعٍ غَفِيرٍ مِنَ السَّحَرَةِ الْكِبَارِ.

لَعَلَّهَا مُبَارَاةٌ تَسْتَحِقُّ أَنْ يُقْبَلَ إِلَيْهَا النَّاسُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ لِكَيْ يَتَسَلَّلُوا وَيَسْتَمْتَعُوا بِأَعْمَالِ السَّحْرِ. ذَلِكَ كَانَ ظَنُّ فِرْعَوْنَ وَأَتْبَاعِهِ، مُبَارَاةٌ فِي اللَّعِبِ وَتَسْلِيَةٍ يُدْرِكُونَ نَهَايَتَهَا لِصَالِحِهِمْ، لَا لِصَالِحِ مُوسَى. فَأَيْنَ مُوسَى مِنَ السَّحْرِ؟! وَأَيْنَ السَّحْرِ مِنْ مُوسَى؟!

أَقْبَلَ النَّاسُ إِلَى سَاحَةِ الْعِيدِ يَوْمَ الزَّيْنَةِ مَدْفُوعِينَ بِالرَّجَاءِ فِي نُصْرَةِ السَّحَرَةِ، لِمَا رَسَخَ فِي نَفُوسِهِمْ مِنْ عَقِيدَةِ الضَّلَالِ وَالْجَهَالَةِ وَسُوءِ التَّقْدِيرِ. وَهُؤُلَاءِ السَّحَرَةُ قَدْ أَقْبَلُوا يَدْخُلُونَ مِنْ بَابِ السَّاحَةِ فِي أَزْيَائِهِمُ الزَّاهِيَةِ،

يتملكهم الغرور والإعجاب بأنفسهم، ويتلقون هتاف الجميع وتشجيعهم.

وهذا موسى يدخل فرداً، يترك أخاه على مرعى بصر منه يشد من أزره، فيلقى السخرية والصراخ، وربما قذفوه بالحصى والحجارة.

﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾ . [طه: ٦٠]

ويشير فرعون إلى الناس بالصمت. ويتقدم كبير السحرة إلى مولاه قائلاً:

- بماذا يعدنا مولانا لو غلبنا موسى وانتصرنا عليه؟

قال فرعون: لكم أجر كبير، وقربى أكثر، ونعمة لا تُقدر، ورفاهية لا تُوصف.

﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ (١١٣) قَالَ

نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ . [الأعراف: ١١٣، ١١٤]

وترددت أصداء هذه الوعود في نفوس السحرة، فلعبت برؤوسهم أكثر من فعل السحر، ثم تشاوروا بينهم يشد بعضهم أزر بعض ومعهم فرعون فقالوا: ﴿قَالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى﴾ (٦٣) فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَوَا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ

مَنْ اسْتَعْلَى ﴿طه: ٦٣ - ٦٤﴾ .

ثُمَّ تَقَدَّمَ كَبِيرُ السَّحَرَةِ إِلَى مُوسَى فِي سُخْرِيَةٍ وَغُرُورٍ يَسْأَلُهُ:

- أَتُرِيدُ أَنْ تُتْلِيَ عَصَاكَ أَوَّلًا أَمْ نُتْلِي نَحْنُ؟

سَمِعَ مُوسَى هَذَا الْكَلَامَ فَلَمْ يَهْتَزَّ، بَلْ طَلَبَ فِي هُدُوءٍ أَنْ يَبْدُؤُوا هُمْ
بِالْقَاءِ عَصِيَّتِهِمْ وَحِبَالِهِمْ.

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ (طه: ٦٥) ﴿قَالَ بَلْ
أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيَّتُهُمْ تُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ . [طه: ٦٥، ٦٦]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَلْقُوا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّتَهُمْ وَقَالُوا بَعِزَّةَ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ

الْغَالِبُونَ﴾ . [الشعراء: ٤٤]

وَيَنْصَايِحُ النَّاسُ الَّذِينَ وَقَفُوا يُشَاهِدُونَ الْمُبَارَاةَ غَيْرَ الْمَتَكَافَةِ. وَهَا هُوَ كَبِيرُ
السَّحَرَةِ يُشِيرُ إِلَى أَعْوَانِهِ، فَيُلْقُونَ جَمِيعًا مَا بَأْيْدِهِمْ عَلَى الْأَرْضِ، فَيَتَوَهَّمُ
مُوسَى أَنَّهَا حَيَاتٌ تَسْعَى.

وَيُوحِي اللَّهُ إِلَى مُوسَى أَنْ لَا تَخَفْ يَا مُوسَى؛ فَأَنْتَ الْفَائِزُ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا،
وَأَلْتِ عَصَاكَ.

﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾ ٦٧ ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى
 ٦٨ ﴿ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ
 السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ . [طه : ٦٧ - ٦٩]

وقال لهم موسى: ﴿ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ
 عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ . [يونس : ٨١]

ألقى موسى عصاه فتحوّلت إلى حية ضخمة كبيرة تلتهم كل ما ألقى
 السحرة من العصي والحبال في سرعة خاطفة، ثم أخذت تدور في الساحة
 مشيرة الرعب في قلوب الجميع، ثم أقبلت على موسى، فمدّ إليها يمينه،
 فعادت كما كانت عصا في يده.

قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
 ١١٧ ﴿ فَرَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ١١٨ ﴿ فَغَلَبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا
 صَاغِرِينَ ﴾ ١١٩ ﴿ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴾ ١٢٠ ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ
 ١٢١ ﴿ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ . [الأعراف : ١١٧ - ١٢٢]

نَمَّ كُلُّ هَذَا فِي لِحَظَاتٍ خَاطِفَةٍ كَأَنَّهَا الْحُلُمُ. أَمَّا السَّحَرَةُ فَقَدْ هَالَتْهُمْ

المفاجأة، وحلَّ بهم الصَّغَارُ والهَزِيمَةُ والهَوَانُ، وأدركُوا أَنَّ مَا فعلَهُ موسى ليسَ من صُنْعِ البَشَرِ؛ فَهُمْ يعرفونَ جَيِّدًا حُدُودَ البَشَرِ. وَكَانَ لَا بُدَّ أَنْ يُسَلِّمُوا لموسَى بالفَوْزِ، فأقبلُوا بينَ يَدَيْهِ سَاجِدِينَ لِلَّهِ تَعَالَى مُعْتَرِفِينَ لَهُ بِالوَلَاءِ لما يَدْعُو إِلَيْهِ.

وَأَمَّا المُشَاهِدُونَ مِنَ النَّاسِ فَقَدْ أَلْجَمَهُمُ الصَّمْتُ، فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِموسَى، وَمِنْهُمْ مَنْ خَافَ انتِقَامَ فرعونَ فَهَرَبَ مِنَ السَّاحَةِ، لَا يَعودُ إِلَيْهَا ثَانِيَةً.

وَأَمَّا فرعونَ فَقَدْ ثَارَتْ نَارُ الحَقْدِ فِي قَلْبِهِ، وَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَنْ يَفْلِتَ الأَمْرُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَصَاحَ فِي السَّحَرَةِ: أَتُؤْمِنُونَ بِرَبِّ موسىَ وَتَسْجُدُونَ لَهُ، تُعْلِنُونَ لَهُ الوَلَاءَ قَبْلَ أَنْ أُعْطِيَكُمْ الإِذْنَ؟!

آه! لَقَدْ أَدْرَكْتُ الآنَ كَيْفَ كُنْتُمْ خَائِنِينَ! لَقَدْ اتَّفَقْتُمْ قَبْلَ أَنْ تَأْتُوا إِلَى السَّاحَةِ عَلَى هَذِهِ النَتِيجَةِ، وَدَبَرْتُمْ مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ. إِنَّهُ مُعَلِّمُكُمْ وَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمْ السَّحَرَ.

وَالآنَ مَا دُمْتُ خَرَجْتُ عَلَى طَاعَتِي فَسَامُرُ أَنْ تَقْطَعَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ، وَسَامُرُ بَتَعْلِيْقِكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخِيلِ عِقَابًا لَكُمْ؛ لِأَنَّكُمْ كَفَرْتُمْ بِنِعْمَتِي

عليكم، وفضلتم موسى على إلهكم.

قال فرعون: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾. [طه: ٧١]

لقد استعمل معهم أساليب الطغاة بالبطش والتنكيل والتعذيب ولكن الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب يصبح الموت والحياة عندها سواء؛ لذلك أجابوا والإيمان يملأ قلوبهم: ﴿لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٧٢) ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾. [طه: ٧٢، ٧٣]

أي أن الله خير منك يا فرعون، فصب عليهم فرعون اللعين جام غضبه فقتل منهم من قتل، ولاحق وشرّد الباقين، لقد كانوا في أول النهار سحرة وفي آخره شهداء بررة.

وخاف على نفسه من خاف، وتمسك بإيمانه من تمسك.

ويزداد عناد فرعون، وتنتشر الشرطة فساداً وطغياناً وظلماً وقتلاً؛ انتقاماً

مَّا حَدَّثَ . وَيجتمعُ حَوْلَ مُوسَى عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ ، صَابِرِينَ عَلَى مَا يُنْزِلُهُ فِرْعَوْنُ بِهِمْ مِنْ عَذَابٍ وَطُغْيَانٍ .

وكانتُ بدايةً قويةً لمُوسَى ، استطاعَ بها أَنْ يَسْتَمِرَّ فِي دَعْوَتِهِ إِلَى الْإِيمَانِ بِقَلْبٍ ثَابِتٍ .

لكنَّ فِرْعَوْنَ لَمْ يَكُنْ يَشْفِيهِ قَتْلُ أَتْبَاعِ مُوسَى أَوْ تَشْرِيدُهُمْ فَحَسَبَ ، بَلْ باتَ يَخْطِطُ لِلْخَلَاصِ مِنْ مُوسَى نَفْسِهِ .

وَيَتَوَعَّدُهُمْ مُوسَى بِأَنَّ اللَّهَ سَوْفَ يُذِيقُ فِرْعَوْنَ وَأَتْبَاعَهُ جَزَاءَ مَا كَفَرُوا ، وَمَا ارْتَكَبُوا مِنْ جَرَائِمَ ، وَبِمَا أَذَاقُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الذُّلِّ وَالْهَوَانِ ، وَاسْتِحْيَاءِ النِّسَاءِ وَقَتْلِ الْأَبْنَاءِ .

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ ١٢٧ ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ١٢٨ ﴿ قَالُوا أَوْذَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا

جئْنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ [الأعراف: ١٢٧ - ١٢٩]

وَكَانَ اللَّهُ لَهُم بِالْمِرْصَادِ.

نَضَبَ مَاءُ النَّيْلِ وَجَفَّ، وَأَجْدَبَتِ الْأَرْضُ الْخَضِرَاءُ، وَنَقَصَتِ الثَّمَرَاتُ وَالْأَمْوَالُ، وَحَلَّ الْجُوعُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَأُفْسِدَتِ الضَّفَادِعُ الْمَاءَ، وَامْتَلَأَتْ أَجْسَامُهُم بِالْقُمَّلِ، وَزَحَفَ الْجَرَادُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ!

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾
﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ [الأعراف: ١٣٠ - ١٣٣]

وَيَجِيءُ إِلَىٰ مُوسَىٰ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ مَنْ يَسْأَلُهُ أَنْ يَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَكْشِفَ عَنْهُمْ هَذَا الْبَلَاءَ، لَكِنَّ اللَّهَ كَانَ يَعْلَمُ مَدَىٰ نِفَاقِهِمْ وَعِنَادِهِمْ.

وَلَمْ يُفِقْ فِرْعَوْنُ مِنْ عِنَادِهِ.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْغَوَةِ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ . [الأعراف : ١٣٤ ، ١٣٥]

ويعلمُ موسى أنَّ فرعونَ قد حشدَ رجاله وأسلحته للتخلصِ من موسى ورجاله، فيأمره الله بالخروج من مصر.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ . [الشعراء : ٥٢ - ٥٦]

ويسرعُ موسى وقومه متجهين نحو الشرق، وفرعون يتعقبهم وكله ثقةٌ في اللّحاق بموسى، إلى أن وصلَ موسى بقومه إلى البحر.

قالوا: يا كليّم الله، العدوُّ خلفنا، والبحرُ من أمامنا، فأين الهربُ والخلاصُ.

﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا

لَمُدْرُكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ [الشعراء: ٦٠ - ٦٢]

منتهى الثقة بنصر الله والتوكل عليه.

فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ.

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ

كَالطُّودِ الْعَظِيمِ﴾. [الشعراء: ٦٣]

تقدّم موسى، وضرب البحر بعصاه، وقال:

اللَّهُمَّ، أَنْتَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، تَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ.

فانشقَّ البحرُ إلى اثني عشرَ طريقًا. أسرعَ المؤمنونَ إليها، والماءُ على

الجانبينِ كأنَّه الجبالُ الجامدةُ، في مشهدٍ مُعْجَزٍ، وَلَوْحَةٍ إلهيَّةٍ رائعةٍ.

وَيُسْرِعُ مُوسَى وَقَوْمُهُ فِي عُبُورِ الْبَحْرِ إِلَى الشَّاطِئِ الْآخِرِ، وَيَصِلُ الْجَمِيعُ

فِي أَمَانٍ إِلَى الشَّاطِئِ الْمَقَابِلِ. وَيُوحِي اللَّهُ إِلَى مُوسَى أَنْ لَا تَضْرِبِ الْبَحْرَ بِعَصَاكَ.

﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ ٦٥ ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾. [الشعراء: ٦٦، ٦٥]

وَقَفَ مُوسَىٰ مُنْهَشًّا، حِينَمَا رَأَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ قَدْ وَصَلُوا إِلَى الشَّاطِئِ،
وَلَوْ أَنَّهُمْ عَبَرُوا وَنَجَحُوا فِي الْعُبُورِ لَقَضَوْا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ قَوْمِهِ.
لَكِنَّ حِكْمَةَ اللَّهِ وَقُدْرَتَهُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ.

صَبَرَ مُوسَىٰ وَقَوْمُهُ وَهُمْ يُشَاهِدُونَ مَا يَحْدُثُ. هَاهُوَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ
يَصِلُونَ إِلَى الشَّاطِئِ، فَيَجِدُونَ الْبَحْرَ قَدْ انْشَقَّ.
﴿وَاتْرَكَ الْبَحْرُ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ﴾ [الدخان: ٢٤]

وَتَوَقَّفَ الْقَوْمُ لِيُعلنَ فِرْعَوْنُ فِي صَلَفٍ وَغُرُورٍ: انظُرُوا يَا قَوْمُ، هَذَا هُوَ
الْبَحْرُ يَنْشَقُّ طَوْعًا لِأَمْرِي وَإِرَادَتِي، حَتَّى أَدْرِكَ هَؤُلَاءِ الْخَوَنَةَ فَأَقْتُلَهُمْ.
وَاقْتَرَبَ مِنْ فِرْعَوْنَ وَزِيرِهِ هَامَانَ هَامِسًا: يَا مَوْلَايَ إِنِّي قَدْ أَتَيْتُ مَرَارًا إِلَى
هَذَا الْمَوْضِعِ مِنَ الْبَحْرِ، وَلَمْ يَكُنْ مَنشَقًّا هَكَذَا، وَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ مَا نَرَاهُ
مَكْرًا مِنْ مُوسَى يَكُونُ فِيهِ هَلَاكُنَا وَهَلَاكُ جُنْدِنَا.

ضَحَكَ فِرْعَوْنُ ضَحْكَةً عَالِيَةً، وَزَجَرَ هَامَانَ بِيَدِهِ، ثُمَّ اعْتَلَى فَرَسَهُ،
وَصَاحَ: اتَّبِعُونِي أَيُّهَا الْجُنُودُ، اتَّبِعُوا إِلَهُكُمْ.

تَوَهَّمِ الْجُنُودُ أَنَّهَا مُعْجَزَةٌ مِنْ مُعْجَزَاتِ فِرْعَوْنَ، فَاثَدَفَعُوا وَرَاءَهُ إِلَى الْبَحْرِ،

حَتَّى وَصَلُوا إِلَى وَسْطِهِ، وَهُمْ فِي صِيَاحٍ وَتَوَعُّدٍ لِمُوسَى وَقَوْمِهِ.
 طَمَأَنَ اللَّهُ مُوسَى عَلَى مَصِيرِهِ، فَأَخَذَ مُوسَى يَصِيحُ فِي قَوْمِهِ حَتَّى لَا يَهْتَزَّ
 إِيمَانُهُمْ: يَا قَوْمُ، إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا. صَبِرًا؛ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا؛ صَبِرًا إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا.
 نَزَلَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ إِلَى الْبَحْرِ جَمِيعًا، وَفِي طَرْفَةِ عَيْنٍ انْطَبَقَ عَلَيْهِمُ الْمَاءُ
 مِنَ الْجَانِبَيْنِ، وَتَفَتَّتْ جِبَالُ الْمَاءِ الَّتِي ظَلَّتْ جَامِدَةً بَعْضَ الْوَقْتِ، فَأَغْرَقَتْهُمْ
 جَمِيعًا.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ
 يَبْسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخْشَى ۝٧٧﴾ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ
 الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ۝٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ۝٧٩﴾ [طه: ٧٧ - ٧٩]

وَلِحُكْمَةِ إِلَهِيَّةٍ كَرِيمَةٍ أَمَرَ اللَّهُ الْبَحْرَ أَنْ يُلْقِيَ جُثَّةَ فِرْعَوْنَ عَلَى السَّاحِلِ؛
 حَتَّى لَا يُحْدِثَ اخْتِفَاؤُهُ فِتْنَةً بَيْنَ النَّاسِ، فَرُبَّمَا ادَّعَى قَوْمٌ أَنَّهُ يَحْيَا فِي عَالَمٍ
 آخَرَ، وَرُبَّمَا رَفَعُوهُ إِلَى مَنْزِلَةِ الْفَاضِلِينَ أَوْ الشُّهَدَاءِ.

فَأَلْقَى الْبَحْرُ جُثَّتَهُ عَلَى شَاطِئِهِ، وَأَخْرَسَ اللَّهُ أَلْسِنَةَ السُّفَهَاءِ حِينَمَا نَظَرُوا
 إِلَى سُلْطَانِ فِرْعَوْنَ مُهْدَمًا فَوْقَ الرَّمَالِ.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ آلَانَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ . [يونس : ٩٠ - ٩٢]

هذه نهاية الطاغية فرعون لقد قال الله فيها: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيُْونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ . [الدخان : ٢٥ - ٣١]

لقد كانت نهاية عادلة تليق بمقام نبي الله موسى والمسلمين معه، وجزاء عادلاً للطاغية فرعون، وهذه الآيات الأخيرة قرأها باكيًا سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - عندما انتصر في معركة القادسية ودخل مدائن كسرى وقصوره.

قصة موسى مع فرعون ليست قصة فرد مع طاغية، بل هي بحق قصة الصراع بين الحق والباطل منذ أن خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة.

فرعون الذي قال لقومه: ﴿ مَا أَرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ . [غافر: ٢٩] فمن كانت هذه بدايته كانت نهايته كما قال تعالى: ﴿ ... فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ (٩٧) يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿ ٩٨ ﴾ وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿ [هود: ٩٧ - ٩٩]

كانت رحلة موسى وقومه من مصر وخروجه منها بداية عهد جديد من الرسالة الإلهية، أنزل الله - سبحانه - فيه التوراة لليهود، هؤلاء القوم الذين أجهدوا موسى وغيره من الأنبياء والمرسلين، وحرفوا في رسالته؛ حتى يحققوا أهدافهم الفاسدة والتي نعاني منها حتى اليوم.

وبهذا نصر الله نبيه موسى على فرعون وقومه، ونصره الله على مكائد قومه، بالصبر والتحمل، وإرساء الإيمان الحق فوق الأرض! ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي

بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا
مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ [الأعراف: ١٣٧]

لقد أكرم الله بني إسرائيل لكنهم لم يحفظوا نعم الله عليهم، فغضب
عليهم ولعنهم وسلبهم نعمه، وأعطى الكتاب قوماً آخرين ليحملوا دينه
ويبلغوه في الأرض، وقيموا شرعه وهم المسلمون أتباع محمد ﷺ.

ونحن يجب علينا أن نعتبر بهم وبما حلَّ عليهم من غضب الله؛ لأنهم
ضيعوا دينه فيجب علينا أن نتمسك بكتاب ربنا وسنة نبينا علماً وعملاً
ودعوةً إليهما.